

في نور محمد فاطمة الزهراء

لكنّها لم تقع قطّ في برائن بأس طاغ، من ذلك النوع المعربد الأخرق، الذي يعيث في القلب عيئاً، ويعبث به عبثاً، ويجيل العيش في الأفواه ثمرةً حنطيةً مُرّة المذاق، ويجعل انبساطه العروق في الصدر تقلّصات وعقداً تكتم الأنفاس، ويملأ الأعين ظلمة من فوقها سواد، ومن تحتها سواد. كانت نفسها بمثابة آمنة، وجذّة حريزة، ما كانت لتقنط من روحها، ولا كان ربّها ليجزئها على صبرها المؤمن بالقنوط الكفور. فحين اشتدّت المحنة بها، إذ جمّعت على الرسول أحقاد قومه، وأحاط به سفهاؤهم يخنقون طريقه، وغدا حبيس سياج من سيوفهم تشرّعت لا غتيال، يومئذ جاءها الخبر يزفّ إليها نجاته. فلقد اخترق حلقة الحصار الأبكم بسلام، والمتربّصون به ليقتلوه ينظرون ولكنّهم لا يرون، ويرهفون سمعهم اللاقط لكلّ حركة ثم لا يسمعون. شأهت منهم الوجوه! انطمست البصائر! عُميت الأبصار! * * * ويوم خرجت من مكّة مهاجرةً، وطاردتها كوكبة فرسان «جناح»، عجزت خسة السلائق [1224]، وفشل صلاب [1225] الطغيان، وثلمت حدّة السلاح. ولم يستطع الأمر الذي بيّتوه وأعدّوا له أن ينال منها وطراً، إلاّ هجمة جبان، وترويعه يعير، واطّراحه على الثرى إن تكن آذتها بعض أذى، فإنّها لم تحقّق غرض أهل السوء، ولا استنزفت بدنّها النحيل ماء الحياة. وفرّ عنها الهلاك خزيان! * * *